المرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي

حامد جواد مهدي المنصوري
طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية،
جامعة شيراز
h.m.1966@gmail.com

حسين مرعشي
الأستاذ المشارك ، قسم اللغة العربية
وآدابها ، جامعة شيراز
hosein marashi@shirazu.ac.ir

محمد نوري الموسوي
أستاذ، قسم اللغة العربية، كلية التربية
للعلوم الإنسانية، جامعة بابل
hum.moh.noori@uobabylon.edu.iq

الكلمات المفتاحية: المرجعية القرآنية، صفي الدين الحلي، المرجعية المباشرة، المرجعية غير المباشرة، النص الشعري.

كيفية اقتباس البحث

المنصوري ، حامد جواد مهدي ، حسين مرعشي، محمد نوري الموسوي، المرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، أيلول ٢٠٢٥،المجلد:١٥، العدد:٥.

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Quranic reference in the poetry of Safi al-Din al-Hilli

Hamid Jawad Mahdi Al-Mansoori
PhD Student, Department of Arabic Language, Shiraz University

Hussein Marashi
Associate Professor,
Department of Arabic Language and Literature, Shiraz University

Mohammed Noori Mohammed Makassees
Professor, Department of Arabic Language, College of Education for Humanities, University of Babylon

Keywords : Quranic references, Safi al-Din al-Hilli, direct reference, indirect reference, poetic text.

How To Cite This Article
Al-Mansoori, Hamid Jawad Mahdi, Hussein Marashi, Mohammed Noori Mohammed Makassees, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, September 2025,Volume:15,Issue 5.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

Safi al-Din al-Hilli is considered one of the most prominent poets of the Mamluk era. His literary works are distinguished by their rich linguistic and literary depth. One of the most notable features of his poetry is his deep and extensive use of Quranic references through direct citation of Quranic verses, the employment of Quranic imagery, and the inspiration drawn from religious values and concepts.

Safi al-Din al-Hilli directly incorporated Quranic verses into his poetry to enhance meanings and convey profound connotations. This

usage stemmed from his extensive knowledge of the Quran and his ability to seamlessly integrate religious texts into eloquent poetic expressions. His incorporation of Quranic verses was not merely for emphasizing meanings but also to add a sense of sanctity and spiritual depth to his poetic texts.

The poet prominently used imagery and metaphors derived from the Quran, particularly those related to natural beauty, paradise, and hell—images frequently mentioned in the Quran. These elements were clearly reflected in his poetry, contributing to the emotional and psychological impact of his verses. Furthermore, he drew inspiration from Quranic values and concepts such as justice, piety, patience, and repentance, which frequently appeared in his poetry, reflecting his deep influence by Quranic teachings.

Safi al-Din al-Hilli's use of Quranic references in his poetry also mirrored the cultural and religious environment of the Mamluk era, where great emphasis was placed on religious texts and Quranic interpretations as an essential part of intellectual and cultural life. Thus, Quranic references in his poetry emerged not merely as decorative or linguistic elements but as a fundamental part of the poetic structure and meaning. Through his creative use of Quranic verses, imagery, and the inspiration of religious values, he was able to craft poetic texts that combined literary beauty with spiritual depth, establishing him as one of the leading figures of Islamic Arabic poetry in his time.

الملخص:

يعد الشاعر صفي الدين الحلي أحد أبرز شعراء العصر المملوكي وقد تميزت أعماله الأدبية بثراء لغوي وأدبي كبيرين ومن أهم السمات البارزة في شعره هي توظيفه العميق والمكثف للمرجعية القرآنية من خلال الاستشهاد بالآيات القرآنية وتوظيف الصور القرآنية واستلهام القيم والمفاهيم الدينية، فقد استعان صفي الدين الحلي بالآيات القرآنية بشكل مباشر في شعره لتعزيز المعاني وتقديم الدلالات العميقة وجاء هذا الاستخدام نتيجة اطلاعه الواسع على القرآن الكريم وقدرته على دمج النصوص الدينية في سياق شعري بليغ، فكان توظيفه للآيات القرآنية ليس فقط لتأكيد المعاني وأنما لإضفاء جو من القدسية والعمق الروحي على النصوص الشعرية، إذ استخدم الشاعر الصور والتشبيهات المستمدة من القرآن الكريم بشكل بارز كالصور المتعلقة بالجمال الطبيعي والجنة والنار والتي كُررت كثيراً في القرآن وظهرت بوضوح في شعره فساهمت هذه الصور في تعزيز التأثير العاطفي والنفسي للأبيات، واستلهم صفي الدين الحلي مواضيع من القيم والمفاهيم القرآنية لتوجيه رسائله الشعرية كالعدالة، والتقوى، والصبر، والتوبة والتي تكررت

في أشعاره الأمر الذي عكس تأثره العميق بالتعاليم القرآنية، كما عكس توظيف صفي الدين الحلي للمرجعية القرآنية في شعره تأثير البيئة الثقافية والدينية للعصر المملوكي إذ كان الاهتمام بالنصوص الدينية والتفسيرات القرآنية جزءاً أساسياً من الحياة الفكرية والثقافية، وبالتالي فإن المرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي برزت ليس فقط كعنصر زخرفي أو لغوي، بل كجزء أساسي من بنية النص الشعري ومعناه من خلال استخدامه المبدع للآيات والصور القرآنية واستلهام القيم الدينية فاستطاع أن يخلق نصوصاً شعرية تجمع بين الجمال الأدبي والعمق الروحي الأمر الذي جعله أحد أعلام الشعر العربي الإسلامي في عصره.

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث في المرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي للأسباب التالية:

١- المساهمة في إغناء الدراسات الأدبية حول الشعراء الكبار في العصر المملوكي وفهم تأثير القرآن الكريم على نتاجهم الأدبي.

٢- توضيح تفاعل النصوص الأدبية مع النصوص الدينية وتوظيفها بطريقة تدمج بين الجماليات الأدبية والقيم الروحية.

٣- يقدم البحث إسهاماً في الدراسات القرآنية من خلال استكشاف كيفية استلهام الشعراء من القرآن الكريم.

٤- يساعد في فهم الأطر الثقافية والدينية التي شكلت فكر وأدب صفي الدين الحلي مما يعكس العلاقة بين الدين والأدب في العصر المملوكي.

هدف البحث:

١- تحليل النصوص الشعرية لصفي الدين الحلي لاستخراج وتحديد المرجعية القرآنية فيها.

٢- معرفة الأبعاد الجمالية والأدبية لاستخدام القرآن الكريم في الشعر.

٣- تقديم رؤية شاملة حول تأثير القرآن على الأدب في العصر المملوكي من خلال دراسة حالة الشاعر صفي الدين الحلي.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي لتحليل النصوص الشعرية واستخراج المرجعيات القرآنية، وعلى المنهج التاريخي لدراسة السياق الثقافي والديني للعصر المملوكي وتأثيره على الشاعر.

أسئلة البحث:

السؤال الرئيسي:

ما هو مدى تأثير المرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي وكيف تتجلى هذه المرجعية في أعماله الشعرية؟

الاسئلة الفرعية:

١- ما هي الآيات القرآنية التي استشهد بها صفي الدين الحلي في شعره؟

٢- كيف استخدم الشاعر الصور القرآنية في صياغة المعاني والأبيات الشعرية؟

٣- ما هي المفاهيم والقيم الدينية المستمدة من القرآن الكريم التي تظهر في شعر الحلي؟

المقدمة

استعان الشاعر صفي الدين الحلي بالقرآن الكريم في كثير من المواضع للتعبير عن الأفكار والمعاني التي يريد البوح بها، سواء عن طريق تضمين شعره الألفاظ القرآنية بحرفيتها، أو عن طريق استلهامه معاني آيات القرآن الكريم والإشارة إليها، فنزع إلى الأخذ منه كثيراً، حتى غدا ذلك في شعره خاصة فنية تميزه عن غيره من الشعراء الذين كان اهتمامهم بزخرفة أشعارهم بفنون البديع، وكفى بالقرآن وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام، ويبدو للدارس أنه قد كان للنشأة الدينية والأدبية التي نشأها الحلي أكبر الأثر في جعله يتفاعل مع القرآن الكريم، حتى بدت مرجعيته القرآنية واضحة ذلك الوضوح في أشعاره، فانفعل بمعانيه، ونطق بألفاظه ونهل من معينه، وبدا تأثره بالألفاظ القرآنية بشكل جلي يبين عمق ثقافته القرآنية وسعتها، فاتكأ عليها في اللفظ والدلالة، فكان من الذين غايتهم أن يقتبسوا من ألفاظه ومعانيه في أنواع مقاصدهم، أو يستشهدوا ويتمثلوا في فنون مواردهم ومصادرهم، فيكتسي كلامهم بذلك الاقتباس معرضاً ما لحسنه غاية، ومأخذاً ما لرونقه نهاية، وإن المتأمل لشعر صفي الدين الحلي يجده مفتوناً بالاقتباس من القرآن الكريم وجعله مرجعية كبرى لشعره افتتاناً بالغاً، فاستعمله كثيراً حتى غدا سمة بارزة ومعلماً واضحاً في شعره، وقد سهّل له ذلك ما تهيأ له من قدرة فنية وطاقة شعرية وخلفية دينية جعلته متمكناً من كتاب الله واستظهاره له، وتدبره لمعانيه، حتى غدا "مصوراً في فكره، دائراً على لسانه، متمثلاً في قلبه، ذاكراً له في كل ما يرد عليه من الوقائع التي تحتاج إلى الاستشهاد به فيها، ويفتقر إلى إقامة الأدلة القاطعة به عليها، وكفى بذلك معيناً في قصده، ومغنياً له عن غيره، وخلال هذا البحث سوف نتطرق إلى صيغتين اتبعهما الحلي في مرجعيته القرآنية وهما المرجعية المباشرة، والمرجعية غير المباشرة وذلك من خلال مبحثين.

المبحث الأول

المرجعية القرآنية المباشرة في شعر الحلي

نجد في شعر صفي الدين الحلي الكثير من المواضع التي جعل فيها النص القرآني المباشر بألفاظه ومعانيه مرجعاً له، في دلالة واضحة على طاقة إبداعية كبيرة، وقدرة فنية واسعة على استثمار النص القرآني استثماراً يليق بالمعنى الذي يريد إيضاحه وإبراز صورته، ومن ذلك قوله:

يـــــا ربّ ذنبـــــي عظـــــيمُ ... وأنـــــتَ عنّـــــي حلـــــيمُ
بـــــل عزّنـــــي منـــــكَ وعـــــدٌ ... لـــــهُ الأنـــــامُ تـــــرومُ
إذا قلـــــتَ فـــــي الـــــذّكرِ للمـــــص ... طفـــــى وأنـــــتَ كـــــريمُ
(نبّـــــئ عبـــــادي أنّـــــي ... أنـــــا الغفـــــورُ الـــــرّحيمُ)[1]

وقد لجأ الشاعر صفي الدين الحلي هنا إلى توضيح مرجعيته القرآنية، وجعل النص القرآني المقتبس واضحاً أشد الوضوح، وليزيد ذلك بياناً دلّ عليه بقوله: إذا قلت في الذكر...فجاء النص مصرحاً بقوله سبحانه وتعالى: (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[2]، ومن ذلك أيضاً ما ورد في حديثه عن الذين يماطلون في الوعود عبر تضييع الوقت بين العذل والعذر، مبيناً أن الإبطاء في إنفاذ الوعود ليس من صفات الإنسان الصالح، بل نجد أن صفي الدين الحلي ينزع عمن لا يتعجل في إنفاذ الوعد صفة الإنسانية، فقال:

لمّـــا تطـــاولَ بـــي إفـــراطُ مطلـــكِ لـــي ... وضـــاعَ وقتـــي بـــينَ العـــذرِ والعـــذلِ
أيقنـــتُ أنْ لســـتَ إنســـاناً لفعلـــك ذا ... لقولـــه: (خُلـــقَ الإنســـانُ مـــن عجـــلِ)[3]

فالشاعر هنا يستثمر قول الله سبحانه وتعالى: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ)[4]، وقد جاء استثماره لهذه الآية أحسن استثمار، فهو يدلل على إيقانه بأن مماطله الوعد ليس إنساناً بصدق قول الله سبحانه وتعالى، ومن أصدق من الله قيلا.

ويبدو مما سبق ذكره أن صفي الدين الحلي كان يعمد إلى إيراد آية أو جزء من آية في تضاعيف شعره من دون حدوث أدنى تصرف بالألفاظ على الوجه الذي لا يشعر فيه المتلقي بأن ما يذكر ليس جزءاً من الشعر، فينبه عليه حيناً، ويتجنب التنبيه عليه أحياناً كثيرة، فقد كان يرى أن "القرآن أبين من أن يحتاج إلى بيان، وكيف يخفى وهو المعجز الذي لو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله"[5]، ومؤدّى ذلك أن الشاعر كان يأتي بالنص القرآني من تحويله عن لفظه ليوظفه في معنى آخر خدمة للغرض الذي يرمي إليه الشار والموقف الذي

يمر به، وبما ينسجم مع دلالة الغرض الشعري الذي نظمت لأجله، ونلاحظ أن مرجعية الشاعر القرآنية المباشرة غالباً ما تتجلى في قوافيه مما يدل على براعة فائقة وقدرة فنية متمكنة، ومن ذلك ما نجده في قوله:

قد صبرنا بالوعدِ منكَ شهورا ... ما رأينا بهنّ ليلةَ قدرِ
كلّ تلكَ الشّهورِ بيضٌ، ولكنْ ... (ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرِ)[٦]

فالشاعر يتحدث هنا عن المماطلة في الوعد، وعن من وعده بشيء لينجزه له، ثم مضت عدة أشهر ولم يفِ له بوعده، ولم يكُ منه إلا المماطلة والتسويف، فهو يأمل منه أن يكون صادقاً في وعده، كما هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فجاء بقوله تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)[٧] ، ليناسب الغرض الذي يتحدث عنه مع بعد المعنى الذي يرمي إليه الشاعر، فكأنه وجد في المجيء بهذه الآية الكريمة مرجعاً "لإقامة الحجة، وقطع النزاع وإذعان الخصم، وقد تقوم الآية الواحدة المستشهد بها في بلوغ الغرض ما لا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة"[٨].

ومن ذلك أيضاً ما نجده في قوله مطمئناً إلى رحمة الله وعفوه:

تبْ وثبْ وادعُ ذا الجلالِ بصدقٍ ... تجدِ اللهَ للدعاءِ سميعا
لا تخفْ مع رجاءِ ربّكَ ذنباً ... إنّهُ (يغفرُ الذّنوبَ جميعاً)[٩]

فالشاعر هنا يشعر بالخوف من الذنوب المتراكمة التي اكتسبها في حياته وقد تقدمت به السن، ثم يطمئن نفسه بعد أن باتت تلك الذنوب تؤرقه كمن يحاسب نفسه، فدعا نفسه إلى التوبة والإنابة إلى الله سبحانه، فهو الذي يغفر الذنوب، جاعلاً الاطمئنان الذي يعتقده مقترناً برجائه عفو الله سبحانه، فهو من يستمع الدعاء، فاستعان بقوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[١٠]، ولا نبتعد إذا قلنا إن في قوله: وادع ذا الجلال بصدق..، إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[١١]، فكانت المرجعية القرآنية التي اعتمد عليها الحلي باباً لتداعيات المعاني وإيحاءات الألفاظ[١٢]، وتبدو المرجعية القرآنية المباشرة متمثلة في طائفة جميلة من شعره استثمر فيها الآيات القرآنية ووظف دلالاتها بأبهى صورة، كما في قوله:

نالتِ الأعداءِ بالسّعي مناها ... فبرغمي يا أبا الفضل رضاها
كانَ سعيُ الضّدّ فيما بيننا ... (حاجةً في نفسِ يعقوبٍ قضاها)[١٣]

فقد قال الشاعر هذه الأبيات في صديق له يدعى أبا الفضل حاول الأعداء السعي في بث الخلاف بينهما، ويبدو من كلام الشاعر أنهم قد نجحوا في ذلك، فقد نالت الأعداء مرادها، ويشير بقوله: برغمي، إلى أنه قد حاول جاهداً أن يحتفظ بوداده ويصون مودته ويطلب رضاه، إلا أن الأعداء لم يرقهم ذلك، فأبوا إلا الخراب وإقامة القطيعة بينهما لأمر أسروه في أنفسهم، فاستعان لإبراز هذا المعنى من عدم معرفة غايتهم من وراء سعيهم في بث الخلاف بينهما بقول الله سبحانه وتعالى حكاية عن نبي الله يعقوب عليه السلام: (وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[١٤]، ومن جميل استثماره لدلالات الآيات الكريمة ما قاله في معرض النصح والدعوة إلى القناعة، فقال:

قناعةُ المرءِ بما عندهُ ... مملكةٌ ما مثلها مملكهْ
فارضوا بما قد جاءَ عفواً: ... (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكهْ)[١٥]

فهو يدعو إلى القناعة والرضا بما قد قسمه الله سبحانه وتعالى لعباده، كما يدعو إلى البعد عن الطمع الذي يورد صاحبه إلى المهالك، فاستعان بقول الله سبحانه وتعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[١٦]، ومن ذلك أيضاً ما نجده في قوله:

حمّلتنا بالمنّ حملاً ثقيلْ ... ف(حسبنا اللهُ ونعمَ الوكيل)[١٧]

حيث يمضي الشاعر في الرجوع إلى القرآن الكريم يستعين به ويستذكر آياته في كل مناسبة وظرف يمر به، ليكسب شعره رونقاً وحلاوة، فيخاطب من يريد المن عليه ويقول له إذا كنت تريد أن تحملنا الجميل فهذا ما لا طاقة لنا بحمله، فحسبنا الله معك في الكفاية والإعانة فهو الذي نفوض إليه أمرنا فيما يعرض علينا من الشدائد المتمثلة هنا في منك علينا، فاستحضر قول الله سبحانه وتعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[١٨]، ومن طريف استعانته بكلام الله سبحانه وتعالى في شعره، ما قاله يذم حماماً دخل إليها، فقال فيها:

إنّ حمّامكَ قد ... مّت حميماً وحماما
فهي مثلُ النّارِ (ساعت ... مستقراً ومُقاما)[١٩]

لقد وجد الشاعر هذه الحمام التي دخلها قذرة جداً فلم ترق له، ورآها مظلمة وموحشة وشديدة الحرارة حتى كأنها الجحيم، فأراد أن يعبر عن بشاعتها وحرارتها فما كان منه إلا ان يشبهها بالنار، ولما أراد أن يعبر عن استيائه من دخولها والمكوث فيها، وأن دخولها أمر لا يسر أحداً استعان بقول الله سبحانه وتعالى في عذاب النار: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا)[٢٠]، ومن ذلك أيضاً قوله في غلام جميل بدا وجهه وسط شعره الأسود الذي انساب على كتفيه، وشبهه بالشمس في جنح ليل مظلم، وعلى خده خال أكسبه مزيداً من الجمال، فكان وجود هذا الخال من مشيئة الله وتقديراته لتكتمل صورته الجميلة، فقال:

جلّ الذي أطلعَ شمسِ الضّحى ... مشرقةً في جنحِ ليلٍ بعيمْ
وقدّرَ الخالَ على خدّهِ ... (ذلكَ تقديرُ العزيزِ العليمْ)[٢١]

ومن ذلك أيضاً قوله:

سرّكَ إنْ صنتهُ بصمتْ ... أصلحَ بينَ الأنامِ شانكْ
فلا تفهْ لامرئٍ بسرٍّ ... و(لا تحرّكْ بهِ لسانكْ)[٢٢]

فالشاعر في هذه الأبيات يوصي بحفظ السر الذي ربما أودى إفشاؤه بحياته، وكان سبباً في هلاكه، وقد قرن إفشاء السرّ بالهلاك معتمداً للإيحاء بهذا المعنى على قول الله سبحانه وتعالى: (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ *لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)[٢٣].

ويبدو للمطلع على شعر الصفي إكثاره من الاقتباسات القرآنية المباشرة، وفيما تقدم أمثلة عن هذا الكثير، وقد ظهرت أهمية المرجعية القرآنية المباشرة في هذه الأمثلة في مجال خصائص الشعر وسماته، حيث قام الحلي بتطعيم أبياته وقصائده بآيات القرآن الكريم طلباً لتدعيم المعنى وتقويته، مما أضفى عليه الرقة والجمال والبهجة، فهو "يورث الكلام البهاء والوقار، والرقة وسلس الوقع"[٢٤]، وهذا نتج عنه المزيد في الوضوح وقوة التأثير، حيث إن ما يتميز به القرآن الكريم "من حسن الطلاوة ولطف الرونق ما يدرك بالضرورة، ويظهر التفاوت بينه وبين غيره بالحسن والذوق، وما ذاك إلا إنه كلام لم تقتضيه مدارج الألسنة، ولا سمحت قريحته بمعارضة لفظة من ألفاظه على تكرر الأيام والأزمنة[٢٥]، قد منح الدلالات المزيد من القوة والإيحاء.

المبحث الثاني

المرجعية القرآنية غير المباشرة في شعر الحلي

تتمثل المرجعية القرآنية غير المباشرة في شعر صفي الدين الخلي عبر مجيئه بالآيات القرآنية في بعض الأبيات بعد إجراء تغيير طفيف عليها لا يمس جوهرها تارة، وعبر الإشارة إليها

أو الإيحاء بها والتلميح إلى معناها تارة أخرى، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في ديوانه، ومن ذلك قوله:

أنعـــــمْ وشـــــرّفْ بـــــالجوابِ ... أو زر فقـــــد زادَ الجـــــوى بـــــي
فبمجلســـــي صِـــــرفُ المُـــــدامِ ... لـــــدى ســـــواقينا الجـــــوابي
وبـــــهِ القـــــدورُ الرّاســـــياتُ ... لـــــدى جِفـــــانٍ كـــــالجوابي[٢٦]

يدعو الشاعر في هذه الأبيات حبيباً له ليزوره ويشرب الخمر معه، ثم يستعرض بعض الأدوات الموجودة في المنزل وهي القدور الراسيات والجفان كالجوابي، وهنا يتبادر فوراً إلى ذهن المتلقي إحالة إشارية إلى قوله تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)[٢٧]، حيث يصف الله سبحانه وتعالى مملكة نبي الله سليمان عليه السلام وكيف يعمل الجن له، وكأن الشاعر يريد أن يقارن ما بين نعيمه وهو الخمر وقدوره والنعيم الذي أعطي لسليمان عليه السلام، فأخذ بعض المفردات من الآية واستعمل القدور الراسيات قبل جفان كالجواب، وقد عد بعض الباحثين ذلك نوعاً من الاجترار[٢٨]، ففي المرجعية القرآنية غير المباشرة نجد أن الشاعر له حرية التصرف في في اللفظ بزيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال الظاهر من المضمر، لأن "المقتبس منه ليس بقرآن حقيقة بل كلام يماثله، بدليل جواز النقل عن معناه الأصلي وتغيير يسير فيه"[٢٩]، وهذا ما نجده في قوله حين يستدعي بعض الأصدقاء إلى لقائه وقد غاب عنه مدة من الزمن، فيقول يعلوه الشوق إلى رؤيته:

لـــيسَ كـــلّ وقـــتٍ يجتمـــعُ الشّـــم ... لُ، ولا راجـــــعٌ لنـــــا مـــــا يفـــــوتُ
فـــاغتنم ســـاعةَ اللّقـــاءِ فمـــا تـــع ... لـــــمُ نفـــــسٌ بـــــأيّ أرضٍ تمـــــوتُ[٣٠]

فقد عبر الشاعر في هذه الأبيات عن الصديق الذي ابتعد عنه وهجره، وهو مشتاق إلى لقائه، ولكن ليس كل وقت يطيب فيه اجتماع الشمل، وما مضى لا يعود، فليس للإنسان إلا الساعة التي هو فيها وعليه أن يغتنم ساعة اللقاء فيها، فما تعلم نفس متى تموت أو بأي أرض تموت في إشارة إلى قول الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[٣١].

ومن ذلك أيضاً ما نجده في قوله في مديح أمير المؤمنين عليه السلام:

جـــلّ معنـــاكَ أن يحـــيطَ بـــهِ الشّـــعرُ ... وتحضـــــــي صـــــــفاتهُ النقّـــــــادُ

إنّمـا اللّـهُ عـنكمُ أذهـبَ الـرّجسَ فـــــردّت بغيظهـــــا الاحتـــــدادُ
ذاك مـدحُ الإلـهُ فـيكم، فـإن فهـتُ بمـــدحِ، فـــذاكَ قـــولٌ معـــادُ[٣٢]

يستعملُ الشاعر هنا أسلوب القصر الذي يراد به تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص بحيث لا يتجاوزه ولا يتعداه إلى غيره حقيقة أو ادعاء[٣٣]، ويؤتى بالقصر للمبالغة في المعنى وتمكين الكلام وتقريره في ذهن المتلقي، وهذا وما وجدناه في قول الشاعر الحلي الذي يستعمل هذا الأسلوب ضمن مرجعية قرآنية واضحة يشير فيها إلى قوله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[٣٤]، ثم يؤكد هذه الإحالة بقوله إن هذا هو مديح الإله لآل البيت عليهم السلام، ونجد استعانته بالنص القرآني مع بعض التصرف فيه بالتقديم والتأخير كما في قوله:

هذي عصاي التي فيها مآربُ لي وقـد،أهشّ بهـا طـوراً علـى غنمـي[٣٥]

إذ نجد أن الشاعر في هذه البيت يستمد معناه من قوله سبحانه وتعالى في حكاية موسى بن عمران عليه السلام عندما سأله الله سبحانه وتعالى عن الشيء الذي في يمينه، قال تعالى: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)[٣٦]، ونجد أن الاستعانة بالنص القرآني هنا من قبل الشاعر جار مجرى المقارنة بين الفائدة التي يجنيها سيدنا موسى عليه السلام من عصاه، والفائدة التي يجنيها الشار الحلي من مدح النبي صلى الله عليه وآله، ذلك أن ما أراده موسى عليه السلام في الآية الكريمة أنه "كان يسقط أوراق الشجر بعصاه لترعاه الغنم فتنتفع به، وما أراده صفي الدين من معنى هو تمثيل لحاله وتوسله لانتفاع نفسه بمديح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بحال الهش بالعصا على الغنم، وذلك على سبيل الاستعارة، حيث استعار العصا للمدحة بعد أن ذكر أن له فيها مآرب، وقد نقل الشاعر المقتبس منه عن معناه الأصلي إلى معنى آخر، ولا يضر ذلك في الاقتباس بل هو من محاسنه"[٣٧]، ومن ذلك أيضاً ما نجده في قول الصفي:

لمّـــا رفعـــت نـــاركم للسّـــاري آنســتُ علــى النّــارِ هــدى الاســرارِ
قـــد جئـــتكم أرومُ كمنهـــا قبســـاً نوديـــتُ أن بـــورِكَ مـــن فـــي النّـــارِ[٣٨]

حيث تتمثل المرجعية القرآنية في هذه الأبيات في الإشارة إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ* فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٣٩]، فاستعمل الصفي لفظتي: آنس وقبس، فأضفى عليهما دلالة واضحة وصورة جميلة، وإذا كانت الصورة الشعرية هي العنصر الأساسي في عملية التقويم الفني أو الوسيلة التي يسعى الشاعر من خلالها إلى نقل أفكاره وعاطفته معاً إلى القارئ والسامع[٤٠]، فإننا نجد أن الشاعر صفي الدين الحلي قد اتخذ من المرجعية القرآنية منبعاً لتلك الصور، حيث إن الشاعر الصفي قد اتخذ من الصورة الشعرية وسيلة مهمة للتعبير عن أفكاره ورؤاه، وذلك عبر تجسيد الأبعاد المختلفة التي تعكس مهارته الفنية في صياغة "نسخة جمالية تستحضر فيها لغة الإبداع، الهيئة الحسية أو الشعورية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر وتجربته وفق تعادلية فنية بين طرفين هما الحقيقة والمجاز"[٤١].

الخاتمة:

في ختام هذا البحث الذي تناول المرجعية الدينية في شعر صفي الدين الحلي، فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها:

- بيّنت الدراسة تنوع المرجعيات القرآنية في شعر الشاعر صفي الدين الحلي، وقد تناولنا منها جانبين يرى البحث أنهما من أهم المرجعيات في شعره، هما الجانب القرآني المباشر والجانب غير المباشر، وقد كان لثقافة الشاعر ومخزونه العلمي أثر كبير في استحضار الموروث القرآني في شعره.
- أظهرت الدراسة الحضور الفاعل للمرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي، إذ تمكن الشاعر من توظيفها في شعره بنوعيها النصي المباشر وغير المباشر.
- بيّنت الدراسة إفادة الشاعر صفي الدين الحلي من مرجعيته القرآنية بما يتناسب مع غرضه الشعري، من مدح أو فخر أو ما سوى ذلك، الأمر الذي أعطى شعره بعداً إيحائياً ونظرة جمالية.
- أوضحت الدراسة أن القرآن الكريم قد شكل مرجعية كبرى لشعر صفي الدين الحلي، إذ ظهر من خلال ذلك قدرة الشاعر الفنية وطاقته الشعرية وما يتبدى وراءهما من خلفية دينية وخلقية مكنته من القدرة على أن يستظهر كتاب الله وسنة نبيه الكريم، وتدبر معانيهما وتوظيفهما في نصه الشعري.

الهوامش:

[١] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، تح: الشويحي، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٦٧١.

[٢] القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية ٤٩.

[٣] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٦٤١.

[٤] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٣٧.

[٥] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج٢، تح: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٨، ص٢٨٧.

[٦] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٥٨٤.

[٧] القرآن الكريم، سورة القدر، الآية ٣.

[٨] الحلبي، شهاب الدين محمود بن سليمان، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تح: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، ص٧٦.

[٩] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٦٧١.

[١٠] القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية ٥٣.

[١١] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٨٦.

[١٢] الحلبي، شهاب الدين محمود بن سليمان، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ص٧٦.

[١٣] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٥٩٨.

[١٤] القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية ٦٨.

[١٥] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٦٥٢.

[١٦] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٩٥.

[١٧] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٥٧٨.

[١٨] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

[١٩] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٦٣٨.

[٢٠] القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية ٦٥-٦٦.

[٢١] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٣٩٦.

[٢٢] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٦٦٠.

[٢٣] القرآن الكريم، سورة القيامة، الآية ١٤-١٦.

[٢٤] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبين، ج٤، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ، ص٧٣.

[٢٥] العلوي، يحيى بن حمزة، الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز، تح: بن عيسى الطاهر، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٤٣٩.

[٢٦] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٥٣٩.

[٢٧] القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية ١٣.

[٢٨] سليمي، علي، وكياني، رضا، التناص القرآني في شعر محمود درويش وأمل دنقل، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد٩، تاريخ ٢٠١٢، ص١١٠.

[٢٩] ابن قرقماس، ناصر الدين محمد، زهر الربيع في شواهد البديع، ج٢، تح: مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٢١٧.

[٣٠] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٥٩٧.

[٣١] القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية ٣٤.

[٣٢] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٨٩.

[٣٣] السيوطي، جلال الدين، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، تح: إبراهيم محمد الحمداني وأمين لقمان الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص١٢٢؛ التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص٣٨١.

[٣٤] القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

[٣٥] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٧٠٢.

[٣٦] القرآن الكريم، سورة طه، الآية ١٧-١٨.

[٣٧]الفاسي، محمد بن قاسم بن زاكور، الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع، تح: بشرى البداوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢، ص٢٩٠.

[٣٨] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، ص٦٧٦.

[٣٩] القرآن الكريم، سورة النمل، الآية ٧-٨.

[٤٠] الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٤٢، ص٢٤١.

[٤١] الصائغ، عبد الإله، الصورة الفنية معياراً نقدياً منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الاولى، ١٩٨٧، ص١٥٩.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١.ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٨.

٢.ابن قرقماس، ناصر الدين محمد، زهر الربيع في شواهد البديع، تح: مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٣.التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

٤.الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ.

٥.الحلبي، شهاب الدين محمود بن سليمان، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تح: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٠.

٦.الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، تح: الشويحي، دار صادر، بيروت، د.ت.
٧.سليمي، علي، وكياني، رضا، التناص القرآني في شعر محمود درويش وأمل دنقل، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد٩، تاريخ ٢٠١٢.
٨.السيوطي، جلال الدين، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، تح: إبراهيم محمد الحمداني وأمين لقمان الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١.
٩.الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٤٢.
١٠.الصائغ، عبد الإله، الصورة الفنية معياراً نقدياً منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الاولى، ١٩٨٧.
١١.العلوي، يحيى بن حمزة، الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز، تح: بن عيسى الطاهر، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
١٢.الفاسي، محمد بن قاسم بن زاكور، الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع، تح: بشرى البداوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢.

Sources and References:

The Holy Quran
1. Ibn al-Athir, The Common Proverb in the Literature of the Writer and Poet, trans. Kamil Muhammad Awida, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1998.
2. Ibn Qarqamas, Nasir al-Din Muhammad, Zahr al-Rabi' fi Shawahed al-Badi', trans. Mahdi Asaad Arar, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 2007.
3. al-Taftazani, Sa'd al-Din Mas'ud ibn 'Umar, al-Mutawwal Sharh Talkhis Miftah al-'Ulum, trans. Abdul Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 2001.
4. al-Jahiz, Amr ibn Bahr, al-Bayan wa al-Tabyin, Dar and Maktabat al-Hilal, Beirut, first edition 1423 AH.
5. Al-Halabi, Shihab al-Din Mahmoud bin Suleiman, Hassan al-Tawassul ila Sanat al-Tarsal, ed. Akram Othman Youssef, Dar al-Hurriyah, Baghdad, first edition, 1980.
6. Al-Hilli, Safi al-Din, Diwan Safi al-Din al-Hilli, ed. Al-Shuwaihi, Dar Sadir, Beirut, n.d.
7. Salimi, Ali, and Kiani, Reda, Quranic Intertextuality in the Poetry of Mahmoud Darwish and Amal Dunqul, Journal of Studies in Arabic Language and Literature, Issue 9, Date 2012.
8. Al-Suyuti, Jalal al-Din, Explanation of Uqud al-Juman in Meanings and Statement, ed. Ibrahim Muhammad al-Hamdani and Amin Luqman al-Habar, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition, 2011.
9. Al-Shaib, Ahmad, Principles of Literary Criticism, Al-Itimad Press, Cairo, Second Edition, 1942.
10. Al-Sayegh, Abdul-Ilah, The Artistic Image as a Critical Standard, an Applied Approach to the Poetry of al-A'sha al-Kabir, General Directorate of Cultural Affairs, Baghdad, First Edition, 1987.
11. Al-Alawi, Yahya bin Hamza, The Conciseness of the Secrets of the Book of al-Taraz in the Sciences of the Facts of the Miracle, ed. Bin Issa al-Tahir, Dar al-Madar al-Islami, Beirut, First Edition, 2007.

12. Al-Fasi, Muhammad bin Qasim bin Zakur, The Ingenious Craft in Explaining the Beautiful Ornament, edited by Bushra Al-Badawi, New Success Printing Press, Casablanca, Morocco, first edition, 2002.